

امكتبة القبطية على الانترنت



زيارة الموقع

من التراث الفلكي لمعلم الأجيال



من أقاصي قاصياً



من التراث الخالد لمعلم الأجيال
الكتاب الخامس: من أقامني قاضياً
الناشر: المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت
<http://copticlibrary.blogspot.com>

تاريخ النشر: إبريل ٢٠١٢م



مثلث الرحمت

قداسة الابا شنوده الثالث

بابا الاسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية ال ١١٧

هذه السلسلة

تقدم المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت لقرائها الأعزاء في هذه السلسلة بعضاً من التراث الخالد لمعلم الأجيال وذهبي فم القرن العشرين والحادي والعشرين مثلث الرحمت قداسة البابا شنودة الثالث. الذي أثرى حياتنا، وحياة الملايين من محبيه عبر الأجيال بأقواله وتعاليمه وحياته، فكان مصباح منير، بل شمس ساطعة أضاءت بقوة عالمنا الذي يحتاج دوماً إلى قدوة صالحة تسير على هدى السيد المسيح وتتبع خطواته في الحب والبذل والاتضاع.

وكتابنا الخامس في هذه السلسلة عبارة عن مقال من باب التوجيهات العامة للأستاذ نظير جيد نشره في مجلة الحق عدد إبريل ١٩٤٨م بعنوان: من أقامني قاضياً.

نصلي إلى الرب أن ينيح روحه الطاهرة في ملكوت السموات وأن يمتعنا ببركه صلواته عنا.

المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت - إبريل ٢٠١٢م

من أقامني قاضياً

هل نظرت يا أخي إلى غيرك في اشمئزاز فأزعجتك القذى التي في عين أخيك؟، وهل انتفخت مثل الفريسي في كبرياء وقلت: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُرُكَ لِأَنِّي لَسْتُ كَسَائِرِ الْبَشَرِ النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزَّانَةَ وَلَا مِثْلَ هَذَا الْعِشَارِ»؟ إن كنت كذلك ولا أظنك كذلك فهل تسمح لي أن أهمس في أذنك بقصة صغيرة من قصص آبائنا الرهبان:

ذهب أحد الرهبان القديسين إلى رئيس الدير يشكو إليه أخاً جديداً حديث العهد بالرهبة ارتكب خطيئة شنيعة. فقال رئيس الدير: «ولماذا تشكوه وأنت مثله»، ورنّت عبارة «وأنت مثله» غريبة في أذن الراهب القديس فصرخ قائلاً: «أغفر لي يا أبتاه. ماذا فعلت؟» فرد رئيس الدير: «ذلك الأخ ارتكب خطيئته الشنيعة وأنت وقعت في خطيئة الإدانة. والله الذي أمره بعدم ارتكاب تلك الخطيئة هو هو نفسه

الذي قال: لا تدينوا لكيلا تدانوا».

ما دام الأمر كذلك يا أخي الكريم فهل يمكننا أن نعرض صور الإدانة المختلفة حتى يختبر بها كل منا نفسه:

١- الانتقاد:

يجتمع بعض الناس في مجلس وإذا لا يجدون ما يتحدثون عنه يأخذون في التحدث عن الآخرين، ويا ليتهم يذكرون محاسن الآخرين، وإنما يسهبون القول عن معائبهم. فهذا الشخص غير مرتب في منزله، وذلك لم يحسن تربية أولاده، وهذا وعظ عظة فلم يكن صوته مسموعاً ولا قوله مفهوماً، وذلك أقام حفلة فلم تكن فيها الروح الفاضلة، وهذه سمعتها سيئة، وتلك لسانها غير مهذب. وهكذا يسير حديثهم على هذه الوتيرة التي تعتبر أبشع صور الإدانة..

فهل يظن أولئك أنهم كاملون أو معصومون من الخطأ بحيث قد ارتفعوا في كمالهم إلى قمة ينظرون منها باشمئزاز

إلى الهابطين في الهاوية؟

إن كان أولئك بلا خطيئة حقاً فليرموا الناس بالحجارة إذا شاءوا.. أما إن كانوا كغيرهم ضعفاء ومعرضون للزلل فخير لكل منهم قبل أن يتحدث عن نقائص غيره أن يسأل نفسه: «من أقامني قاضياً؟».

٢ - تحليل الشخصيات:

قد يروقك يا أخي أحياناً أن تدعي لنفسك الخبرة بالناس والمعرفة بهم فتحلل بعض الشخصيات وتقتضي منك النزاهة في التحليل أن تذكر المحاسن والعيوب ناسياً أن في ذكرك للعيوب إدانة للغير.

فعليك يا أخي أن تبتعد عن هذا الأمر، وإذا سئلت رأيك في شخص ما فافرض ابداء أي رأي على اعتبار أنه لا شأن لك بهذا. وعلى اعتبار أن حكمننا مجرد حكم على الظاهر. أما معرفة الباطن، معرفة القلب والفكر فهي من اختصاص

واحد فقط هو الله.

وإذا كان لا بد أن تذكر شيئاً عن غيرك فأذكر محاسنه وفضائله، أما إذا كنت لا تعرف عنه غير خطاياہ فقل في صراحة تامة لمن يسألك عنه «من أقامني قاضياً؟» لأنه لا بد أن تستر عيوب غيرك كما فعل الأنبا مكاريوس الكبير. واعرف يا أخي أن كل شخص مناه له من الخطايا الكثيرة ولكن الله كان من الرحمة بحيث لم يفضح آثامنا ولم يكشف خطايانا وإنما ترك كل ذلك مستورا حتى يترك لنا مجالاً للتوبة. فكما فعل الله بنا علينا أن نفعل بالآخرين.

٣- المناقشات:

تقود المناقشات في أغلب الأحيان إلى إدانة الغير. قد تكون المناقشة سياسية وتشتد بك الحماسة يا أخي العزيز فتصف أحد السياسيين بالخيانة وتثبت كيف أنه باع وطنه، وتصف الآخر بالجن وتثبت كيف أنه باع دينه، وتصف

من أقامني قاضياً

الثالث بالخسة وتذكر كيف أنه باع شرفه، وتصف الرابع بالغباء والخامس بالضعف، وهكذا تشتت بك الحماسة فتدين غيرك.

انك يا أخي لا تعرف شيئاً من دقائق الموقف السياسي، ولم تتكشف لك غوامضه وتفصيله ولم تقع تحت يدك الأدلة والوثائق. وحتى لو كنت متأكداً تماماً من كل ما تقوله، وحتى لو كانت لديك الوثائق والأدلة، عليك أن تسأل نفسك قبل أن تحكم حكماً «من أقامني قاضياً». امتنع إذا عن تلك المناقشات فإنها خطوة إلى الإدانة، ولو اضطرت إليها اضطراراً فلا تتعرض للأشخاص.

وقد تكون المناقشة دينية وتقودك الحماسة أو يقودك التعصب إلى تناول أي مذهب أو طائفة بالنقد فتحاول أن تبحث عن عيوب أنصار تلك الطائفة وإن لم تجد تخلق العيوب خلقاً، أو تبالغ فيها، أو تتهكم عليها وتتندر بها

توجيهات عامة

ناسياً وسط كل ذلك أنك تدين غيرك. نصيحتي لك أن تبتعد عن تلك المناقشات وان اضطرت إليها فتكلم عن المبادئ ولا تتكلم عن الأشخاص وقل دائماً لنفسك: «من أقامني قاضياً؟».

وقد تكون المناقشة اجتماعية. فبدلاً من أن تتكلم عن المجتمع المثالي وما يجب أن يكون، نراك تتحدث عن عيوب مجتمع معين وتضرب لذلك أمثلة بأشخاص تعرفهم كدليل على قولك، لا ياخي. ليس لك أن تفعل هذا. مالك أنت وغيرك. عليك قبل أن تتحدث عن أي شخص في الوجود أن تسأل نفسك أولاً: «من أقامني قاضياً؟».

٤- الحديث عن الإصلاح:

يخلو لبعض الناس أن يقيموا من أنفسهم زعماء ومصالحين ويا ليتهم يستطيعون ذلك. ويتخذ الشيطان الحماسة للإصلاح ويحوّلها إلى إدانة للغير. مثال ذلك: يريد

من أقامني قاضياً

شاب متحمس أن يتحدث عن إصلاح الكنيسة فبدلاً من أن يحدثنا عما يجب أن يكون نراه يحدثنا عما هو كائن. وفي حديثه عما هو كائن لا يتعرض للنظم وإنما للأشخاص فيتناول الشخصيات البارزة في الكنيسة والوظائف العامة فيها، فيقول أن فلاناً لا يصلح لمنصبه، وفلاناً لم يقم بواجبه، وفلاناً أخلاقه غير مسيحية، وفلاناً شخصيته غير قوية.. وهكذا يتدرج به حب الإصلاح إلى الخطيئة.

بل أنه قد يلجأ أحياناً إلى أسلوب آخر له نفس الخطأ فيتحدث عن هيئات بجملتها ويحكم على هيئة معينة منها بأنها غير صالحة، ناسياً أن تلك الهيئة تضم أشخاصاً كثيرين منهم المصيب ومنهم المخطئ، وحتى أولئك المخطئين لم يقم لصديقنا الدليل الدامغ على خطيئتهم، وحتى لو حصل على ذلك الدليل عليه أن يسأل نفسه أولاً: «من أقامني قاضياً؟».

٥- النصح واللوم:

يريد بعض إخواننا المباركين أن يكسبوا للمسيح أكبر عدد من الخطاة. هذا حسن. ولكن أخواننا يلجأون إلى طريقة خاطئة فهم مثلاً يفرضون أن كل شخص يقابلونه خاطئ يجب أن ينصح، وبدلاً من أن ينصحوه يتوجهون إليه باللوم. فترى الشخص من هؤلاء في منزله وفي عمله وفي غير ذلك كثير الغضب كثير الانتهاز يقول للبعض: «انك خاطئ في هذا العمل»، وللآخر: «ما كان يجب أن تفعل كذا وكذا»، وللثالث: «انك لا تستحق أن تكون مسيحياً»، وللرابع: «يجب أن تترك هذه الرذائل». ونسى أخونا المبارك أنه تحول من النصح إلى الإدانة، وإن طريقته هذه قد تثير السامع أو تغضبه أو تسخطه على رجال الدين بوجه عام.

وإنما يجب على الناصح أن يبدأ بالعظة الصامتة. أقصد بالقدوة الصالحة إذ يرى غيرك أفعالك الحسنة فيمجد

من أقامني قاضياً

أباك الذي في السموات. ثم يجب أن يكون النصح في رفق فيتحدث الناصح عن الخطيئة بوجه عام لا عن خطيئة المنصوح بالذات، ثم عليه أن يضرب أمثلة بحياة القديسين فإن لها تأثيراً على النفوس تدعو الناس إلى تقليدها.

وإذا نظرنا إلى عظة السيد المسيح على الجبل لا نجد فيها أي إدانة. فقد بدأها رب المجد بالتطويات والبركات ولم يقل لسامعه أنت مرأي في صلاتك وإنما قال: «ومتى صليت فلا تكن كالمرائين.» ولم يقل أنك مرأي في احسانك تصوت أمامك بالبوق، وإنما قال: «ومتى صنعت صدقة فلا تصوت أمامك بالبوق كما يفعل المراءون.»

هذه هي يا صديقي أمثلة حية من العظة الخالية من الإدانة لعل فيها عبرة وقدوة.

٦- الشكوى:

كثير من الناس يقعون في إدانة الغير عن طريق الشكوى

فترى الشخص متبرماً بالعالم ومن فيه. يشكو من ضعف
نفسيات الناس وبعدهم عن الفضيلة، أو يشكو من شخص
بالذات كيف أنه خانه أو خدعه أو أهانه أو ظلمه. ألا ترى
أن أخانا هذا في شكواه قد وصف مضايقه بالخيانة أو الخداع
أو القحة أو الظلم وفي هذا إدانة.

نصيحتي إلى مثل هذا الأخ أن يتحمل ويقول كما قال
المسيح: « يا أبتاه أغفر لهم فإنهم لا يدرون ماذا يفعلون.» أنا
معك يا أخي أن في الحياة مضايقات كثيرة ولكن علينا أن
نتحمل، وصليب الاحتمال ليس بأقل فخراً من أي صليب
آخر. ثم علينا أن نشعر أن الذي أهاننا هو أخ لنا يجب أن
نصلي لأجله حتى يقوم من سقطته فيرحمه الله. أما شكوانا
من أفعاله فسوف لا تفيدنا ولا تفيده.

٧- سرد الواقع:

كثيراً ما يحدث أن أحداً يقص على صديقه ما حدث

من أقامني قاضياً

في البيت أو الشارع أو مكان العمل ويسرد حماقات صدرت من الآخرين تسقطهم من نظر السامع. ويعتذر مثل هذا الأخ بأنه لم يظلم هؤلاء الناس لأنه لم يقل إلا الصدق. حقيقي أنه لم يقل إلا الصدق ولكن كان يجب أن يصمت ولا يقل شيئاً. هذا التشنيع بأخطاء الآخرين غير مستحب فيجب أن نمتنع عنه امتناعاً كلياً ويجب إذا رأينا أي شيء لا يشرف عنهم أن نعتبر كأننا لم نر ولم نسمع لأنه بالكيل الذي نكيل به للآخرين يكال لنا. إنما قبل أن نسرد قصص هؤلاء على كل منا أن يسأله نفسه: «من أقامني قاضياً هؤلاء».

٨- الدينونة غير المباشرة:

قد لا تدين أحد ولكنك تدفع غيرك إلى إدانته. مثال ذلك: تعرف أن صديقك لا يحترم فلاناً من الناس فتسأله رأيه في فلان، ويبدأ الصديق في سرد رذائل ذلك الشخص ويكون قد أدانه وأنت السبب.

ومثال آخر: يسألك البعض رأيك الشخصي في شخص معين فتقول لهم: «اسألوا فلانا» لأنك تعرف أن هذا الذي يسألونه سيحدثهم عن معاييب من يريدون الرأي فيه. فهذه دينونة لم تصدر منك ولكنك اشتركت فيها.

مثال ثالث: يحدثك أحد الأشخاص عن عيوب رجل معين فتشجعه على الاستمرار بإنصاتك إليه أو بضحكك على تهكمه فيستمر في دينونته وتكون مشتركاً معه.

نصيحتي لك ألا تنصت مطلقاً إلى من يتحدثون عن عيوب الغير وإنما تقول لمثل ذلك المتحدث: «وما شأننا بهذا.. كفانا أن نحمل خطايانا» أو أن تغير مجرى الحديث إذا أمكنك.

٩- دينونة الفكر:

قد لا تقول لأحد ما يسيئه ولا تدين بلسانك أي مخلوق، ولكنك تدينه بفكره فتظن فيه الظنون السيئة وتفكر فيه الأفكار الباطلة، وتؤول أعماله تأويلاً لا يشرفه وتكون

بذلك قد أدنته وإن لم تصرح بذلك.

لا يا أخي، كفانا خطايانا نفكر فيها ونكفر عنها وليس لنا أن نفكر في الآخرين، هل أخطأوا أم أصابوا.. إنما علينا أن نحسن الظن بكل مخلوق ونعتبر الجميع قديسين ونحن خطاة.

١٠ - دينونة الإشارة:

قد لا تقول لأحد أنه مخطئ ولكنك تنظر إليه نظرة اشمئزاز أو تقلب شفتيك في احتقار أو تتنهد تنهدة تدل على التضايق. وتكون قد أدنته بقلبك وفكرك وعبرت عن هذه الإدانة تعبيراً ملموساً ولا فرق بين هذا التعبير وبين إدانة اللسان.

لا يا أخي الكريم ليس لنا أن نحتقر غيرنا فنحن جميعاً تحت الآلام.. إن وجدنا شخصاً مخطئاً فيجب أن نصلي لأجله ولا يجب أن نلومه أو ندينه، ويجب دائماً في علاقاتنا بالآخرين قبل أن نتكلم عنهم أو نحكم عليهم أن يسأل كل منا نفسه

توجيهات عامة

أولاً « من أقامني قاضياً؟ » ولناخذ مثالنا ذلك الأعمى الذي أراد الكتابة والفريسيون أن يقنعوه بأن المسيح خاطئ فقال لهم: «أخاطئ هو؟ لست أدري..».

نظير مجيد
ليسانسيه في التربية والآداب

صدر من هذه السلسلة:

- ١ - هل الطهارة صعبة؟
- ٢ - داخل الأبواب المرشوشة بالدم.
- ٣ - الثمن.
- ٤ - الرجوع.
- ٥ - من أقامني قاضيا.



المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الإنترنت
<http://copticlibrary.blogspot.com>